وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس
اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها
بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وان
قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا قال ان الكرام كثير في البلاد
وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى
السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم
وعن مالك بن دينار انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا
يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فرأى سلة فقال لمن هذه
السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت
القيود على رجلك وقرأ ابن زيد على يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون
والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق
في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي
بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل
ابن عطاء رضي الله عنه وعن اشياعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه
يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر
في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب
مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار
الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله عز وجل بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من
بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
اولئك هم الخاسرون النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال
النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة
لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة
يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك
ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء
المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه
ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة
فاستوثقها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر
وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه
واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله
احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله
قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى
قوله تعالى واشهدهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول — على انفسهم خ
يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدم من الكتب المنزلة عليهم
كقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى عليه السلام سانزل عليك

عليك كتابا ناعيه بنا بني اسرائيل وما اريته اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا
من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهود اليهم وحسن صنيعه للذين آمنوا
بميثاق الله واوفوا بعهده ونصرته اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا
ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم
من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو ما اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا
دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة
عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك
وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد
وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته
كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى
اي من بعد توثيقه عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله
ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم
ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم
ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر
الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر يأمره به
فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب
والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض
بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف تكفرون بالله
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف
مثله في قولك اتكفرون ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو
الانكار والتعجيب ونظيره قولك اتطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير
جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر — ولكم تطير بغير جناح صح
من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف
عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت قد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل
والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا
للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته واذا امتنع ثبوت الذات
تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها
انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ
وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك
من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا
لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت
فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر
قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله تعالى كنتم امواتا الى ترجعون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)